عـــربي

لغير المسلمين و المهتدين

السيرة النبوية

IPC
لجنة التعريف بالإسلام
ISLAM PRESENTATION COMMITTEE
جمعية النجاة الخيرية

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)

إعداد : إبراهيم يوسف أبو كانون
مراجعة: د. جاسم أحمد الكندري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن استن بسنته واهتدى بهديه واقتفى أثره وسار على نهجه إلى يوم الدين.
أما بعد:

فإن رسول الله ﷺ هو الصورة العملية التطبيقية لدين الإسلام، وجميع الطرق الموصلة إلى الله تعالى ،ويمتنع أن تعرف دين الإسلام ويصح لك إسلامك بدون معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف كانت سيرته ومنهجه وسنته.

بعث النبي ﷺ على فترة من الرسل، وضلال من البشر، وانحراف في الفطر، وواجه ركاماً هائلاً من الضلال والانحراف والبعد عن الله، والإغراق في الوثنية. فاستطاع بعون الله أن يخرجهم من الظلام إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى ومن الشقاء إلى السعادة، فأحبوه وفَدَوْهُ بأنفسهم وأهليهم وأموالهم، واقتدوا به في كل صغيرة وكبيرة، وجعلوه نبراساً لهم يستضيئون بنوره، ويهتدون بهديه فأصبحوا أئمة الهدى وقادة البشرية.

إن سيرته ﷺ رسمت المنهج الصحيح الآمن في دعوة الناس، وهداية البشر، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة. وما فشلت كثير من المناهج الدعوية المعاصرة في إصلاح البشر إلاّ بسبب الإخلال بهديه والتقصير في معرفة سنته، ونقص في دراسة منهجه صلى الله عليه وسلم في هداية البشر وإصلاحهم .

وهذه نبذة مختصرة عن سيرة النبي ﷺ من مولده إلى هجرته لمن أراد أن يعرف عنه من غير المسلمين ولمن هداه الله لدين الإسلام سائلا الله عز وجل أن ينفع بها من قرأها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

نسب النبي

نسب النبي :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، و عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم صلى الله عليهما وعلا نبينا وسلّم .

نسب أم النبي :

وأم النبي ﷺ هي آمنة بنت وهب رئيس قبيلة بني زهرة ونسبه يتصل بفهر الملقب بقريش ، وهكذا كان النبي ﷺ من خير بطون العرب ومن أحسن قبائلهم وفروعهم من جهة أبيه وأمه.

ولد نبينا ﷺ في يوم الاثنين ([1]) في التاسع من ربيع الأول([2]) السنة الأولى من عام الفيل الموافق للثاني والعشرين من أبريل سنة ٥٧١م وذلك في مكة المكرمة بعد الفجر الصادق وقبل شروق الشمس. وقد توفى والده قبل ولادته.

وكان من عادة أشراف مكة أن يرسلوا أطفالهم إذا ما بلغوا ثمانية أيام إلى مرضعات في مكان يتوفر فيه الجو النقي والهواء العليل ،واتباعا لهذه العادة أودع محمد ﷺ لدى حليمة السعدية ، وكان يؤتى به بعد كل ستة أشهر لتراه أمه وأقاربه، وبعد عامين كان فطامه ، فحملته حليمة إلى أمه آمنة ، ولكن آمنة سلمته ثانية إلى حليمة معتقدة أن جو البادية أنسب لطفلها من جو مكة.

وحين بلغ الرسول ﷺ الرابعة من عمره ، أخذته أمه إلى حضنها، وحين بلغ السادسة توفيت أمه ، فكفله جده .

وحين بلغ الرسول ﷺ ثمانية أعوام وعشرة أيام توفى عنه جده عبد المطلب ، عن عمر يناهز الثانية والثمانين فكفله عمه أبو طالب ، شقيق والده عبد الله ، وشهد حرب الفجار وعمره حينها خمس عشرة سنة .

1- يوم الاثنين له خصوصية في حياة الرسول، ففيه ولد، وفيه بعث، وفيه هاجر، وفيه توفي، وهذا يساعد في تصحيح مختلف التواريخ.

2- اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته، فذكر الطبري وابن خلدون أنه ولد يوم الثاني عشر من ربيع الأول، وذكر أبو الفداء أنه ولد في العاشر منه. ولكنهم جميعا اتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين، ولما كان الاثنين لا يوافق إلا التاسع من ربيع الأول ، فيرجح أنه يكون مولده في التاسع ، وقد رجح هذا التاريخ محمد طلعت بك عرب في كتابه « تاريخ دول العرب والإسلام »

حلف الفضول

وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذي القعدة ، تداعت إليه قبائل من قريش ، فاجتمعوا في دار عبدالله بن جدعان التيمي لسنه وشرفه ، فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته ، وشهد هذا الحلف رسول الله ﷺ ، وقال بعد أن كرمه الله بالرسالة : لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت .

حياة الكدح – زواجه بخديجة – بناء الكعبة

حياة الكدح

ولم يكن له ﷺ عمل معين في أول شبابه ، إلا أن الروايات توالت أنه كان يرعى غنماً ، رعاها في بني سعد ، وفي مكة لأهلها على قراريط وفي الخامسة والعشرين من سنه خرج تاجراً إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها .

زواجه خديجة

ولما رجع إلى مكة ، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر من قبل هذا ، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه ﷺ من صفات عذبة ، وشمائل كريمة ، وفكر راجح ، ومنطق صادق ، ونهج أمين . فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منبه ، وهذه ذهبت إليه ﷺ تفاتحه أن يتزوج خديجة ، فرضي بذلك ، وكلم أعمامه ، فذهبوا إلى عم خديجة ، و خطبوها إليه ، وعلى أثر ذلك تم الزواج .

وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة ، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسباً وثروة وعقلاً ، وهي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

بناء الكعبة وقضية التحكيم

قبل بعثته ﷺ بخمس سنين جرف مكة سيل عرم ، انحدر إلى البيت الحرام ، فأوشكت الكعبة منه على الانهيار ، فاضطرت قريش إلى تجديد بنائها حرصاً على مكانتها ، واتفقوا على أن لا يدخلوا في بنائها إلا طيباً ، فلا يدخلوا فيها مهر بغي ، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس. فجمعت كل قبيلة حجارة على حدة ، وأخذوا يبنونها ، وتولى البناء بناء رومي اسمه باقوم ، ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود اختلفوا فيمن يمتاز

بشرف وضعه في مكانه ، واستمر النزاع أربع ليال أو خمساً ، واشتد حتى كاد يتحول إلى حرب ضروس في أرض الحرم ، إلا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي عرض عليهم أن يحكموا فيما شجر بينهم أول داخل عليهم من باب المسجد فارتضوه ، وشاء الله أن يكون ذلك رسول الله ﷺ فلما رأوه هتفوا : هذا الأمين رضيناه ، هذا محمد فلما انتهى إليهم ، وأخبروه الخبر طلب رداءا ، فوضع الحجر وسطه ، وطلب من رؤساء القبائل المتنازعين أن يمسكوا جميعاً بأطراف الرداء ، وأمرهم أن يرفعوه ، حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه بيده ، فوضعه في مكانه ، وهذا حل حصيف رضي به القوم .

الصادق الأمين – قرب زمن البعثة

الصادق الأمين

وكان النبي ﷺ يمتاز في قومه بخلال عذبه وأخلاق فاضلة ، وشمائل كريمة فكان أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأعزهم جواراً ، وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثاً ، وألينهم عريكة ، وأعفهم نفساً ، وأكرمهم خيراً ، و أبرهم عملاً ، وأوفاهم عهداً ، وآمنهم أمانة ، حتى سماه قومه (الأمين) ؛ لما جمع فيه من الأحوال الصالحة والخصال المرضية ، وكان كما قالت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها : يحمل الكل ، ويكسب المعدوم ، ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق.

قرب زمن البعثة

ولما تقارب سنه ﷺ الأربعين ، وكانت تأملاته الماضية قد وسعت الشقة العقلية بينه وبين قومه ، حبب إليه الخلاء ، فكان يأخذ السويق والماء ويذهب إلى غار حراء في جبل النور ، على مبعدة نحو ميلين من مكة ، فيقيم فيه شهر رمضان ، يطعم من جاءه من المساكين ، ويقضي وقته في العبادة والتفكر فيما حوله من مشاهد الكون .

ولما تكامل له أربعين سنة وهي رأس الكمال – بدأت آثار النبوة . قالت عائشة رضي الله عنها : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال : اقرأ : فقال ما أنا بقارئ ، فأخذه فغطه حتى بلغ من الجهد ، ثم أرسله فقال : اقرأ ، فقال ما أنا بقارئ ، فأخذه وغطه الثالثة ، ثم أرسله فقال : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ×

خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ × اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾[3]، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زمّلوني زمّلوني ، فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة ، مالي ، وأخبرها الخبر ، لقد خشيت على نفسي ،فقالت خديجة : كلا ، والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة – وكان امرءاً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيراً ،قد عمي – فقالت له خديجة : يا ابن عم ، إسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى ،وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت، ياليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم ؟ قال نعم ، لم يأتي رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي [4].

بداية الدعوة – من أهداف النبوة

بداية الدعوة

بدأ النبي ﷺ الدعوة بعد أن وصل إلى البيت ، فأسلم في أول يوم كل من زوجه خديجة رضي الله عنها وابن عمه علي رضي الله عنه (عمره ثماني سنوات)، وصديقه أبو بكر رضي الله عنه ، ومولاه زيد بن حارثة.

إن إيمان أولئك الأشخاص الذين اطلعوا على كل صغيرة وكبيرة في حياة النبي ﷺ لأربعين سنة هو أقوى دليل على صدق دعواه ﷺ.

وقد أسلم بلال رضي الله عنه وعمرو بن عنبسة رضي الله عنه ، وخالد بن سعد بن عاص رضي الله عنه بعد عدة أيام.

كان أبو بكر رضي الله عنه غنياً ، يعمل بالتجارة، كان يتجر بالأقمشة في مكة ، فكان على صلة وثيقة بالناس ، فأسلم بدعوته عثمان رضي الله عنه والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم ثم أسلم بعدهم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح الذي لقب فيما بعد بأمين الأمة، وعبد الأسد بن هلال ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن فهيرة الأزدي وأبو حذيفة بن عتبة والسائب بن عثمان بن مظعون والأرقم رضي الله عنهم . وأسلمت من النساء بعد خديجة أم المؤمنين رضي

3– سورة العلق

4– رواه البخاري مع اختلاف يسير في اللفظ

الله عنها أسماء بنت عميس رضي الله عنها وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وفاطمة رضي الله عنها أخت عمر الفاروق رضي الله عنه ، وكان المسلمون في تلك الأيام يذهبون للصلاة في عقبة الجبل.

ظل النبي ﷺ يدعو الناس سرا في سنوات الدعوة الثلاث الأولى، ويحثهم على عبادة الله وحده وترك عبادة الأحجار والأشجار والشمس والقمر.

من أهداف النبوة

تلقى النبي ﷺ من ربه بعض الأوامر وهي قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ× قُمْ فَأَنذِرْ × وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ × وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ×وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ×وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ×وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ × فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ×فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ×عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ× ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ×وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَّمْدُودًا × وَبَنِينَ شُهُودًا ×وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ×ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ×كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا × ﴾[5] ،

ويتضح من هذه الآيات بعض أهداف الرسالة والنبوة وهي ما يلي:

أ – التوحيد .

ب – الإيمان باليوم الآخر .

ج – القيام بتزكية النفس بأن تنتاهى عن المنكرات والفواحش التي تفضي إلى سوء العاقبة ، وبأن تقوم باكتساب الفضائل والكمالات وأعمال الخير.

د – تفويض الأمور كلها إلى الله تعالى .

هـ – وكل ذلك بعد الإيمان برسالة محمد ﷺ وتحت قيادته النبيلة وتوجيهاته الرشيدة.

الدعوة في عشيرته – موعظة جبل الصفا

الدعوة في عشيرته

بدأ النبي ﷺ أمر الدعوة العامة حسب التوجيه الرباني، ونزل القرآن الكريم بدعوة العشيرة بصفة خاصة: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[6]. وهكذا جمع النبي ﷺ جميع

5- سورة المدثر

6- سورة الشعراء :٢١٤

بني هاشم ذات يوم على الطعام ، فبدأ بهم ودعاهم إلى الإيمان به ونصرته وتأييده فهزأ به عمه أبو لهب . ثم دعاهم ثانية وقال: (الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به، وأتوكل عليه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له). ثم قال: (إن الرائد لا يكذب أهله، والله الذي لا إله إلا هو، إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، وإنها الجنة أبدًا أو النار أبدًا).

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقًا لحديثك. وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، وإنما أنا أحدهم، غير أني أسرعهم إلى ما تحب، فامض لما أمرت به. فوالله، لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب.

فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم، فقال أبو طالب: والله لنمنعه ما بقينا

موعظة جبل الصفا ودعوة أهل مكة

وبعدما تأكد النبي ﷺ من تعهد أبي طالب بحمايته ، وهو يبلغ عن ربه ، قام يوماً على الصفا فصرخ : يا صباحاه : فاجتمع إليه بطون قريش ، فدعاهم إلى التوحيد الله والإيمان برسالته وباليوم الآخر . وقد روي البخاري طرفاً من هذه القصة عن ابن عباس . قال لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[7] صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي يا بني فهر ! يا بني عدي ! لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ؟ فجاء أبو لهب وقريش . فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً ، فقال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم . ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت :﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[8] .

جهود النبي ﷺ في الدعوة وردود فعل المشركين

بدأ النبي ﷺ الدعوة العلنية للجميع ، فكان يذهب إلى كل محفل أو جمع وإلى كل طريق أو ممر يدعو الناس إلى التوحيد ، وينهاهم عن عبادة الأوثان والأحجار والأشجار، ويمنعهم من قتل بناتهم ومن ارتكاب فاحشة الزنا ، ولعب الميسر . فانفجرت مكة بمشاعر الغضب ، وماجت بالغرابة والاستنكار ، حين سمعت صوتاً يجهر بتضليل المشركين وعبادة الأصنام ، وقامت قريش تستعد لحسم هذه الثورة ، لأنها عرفت أن

7- سورة الشعراء :٢١٤

8- سورة المسد

معنى الإيمان بنفي الألوهية عما سوى الله ، ومعني الإيمان بالرسالة وباليوم الآخر هو الانقياد التام والتفويض المطلق لله، بحيث لا يبقى لهم خيار في أنفسهم وأموالهم ، فضلاً عن غيرهم . ومعنى ذلك انتفاء سيادتهم وكبريائهم على العرب ،

ظلم قريش للمسلمين – إساءة قريش للنبي ﷺ

ظلم قريش للمسلمين

وعليه شمرت قريش عن ساعد الجد لمعارضة دعوة النبي ﷺ وصممت على القضاء علي أي الإسلام في مهده واتبعت في ذلك أساليب عدة:

أولاً: أسلوب إيذاء المسلمين إيذاء شديداً حتى يرتد من دخل الإسلام ، ويكون عبرة لغيره ممن لم يدخل الإسلام بعد، ولا يدخله أحد من جديد. ويصعب هنا تفصيل الحديث عن تلك المظالم التي ألحقتها قريش بالمسلمين، وما أوقعته بهم من صنوف الإيذاء، ونذكر هنا باختصار طرق التعذيب وأحوال بعض المسلمين ممن عذبوا.

١- كان بلال رضي الله عنه حبشيا وعبدا لأمية بن خلف فلما سمع أمية أن بلالاً رضي الله عنه أسلم، اخترع له صنوفا متنوعة من العذاب، كأن يربط حبلا في عنقه ويتركه للصبيان يطوفون به جبال مكة، فكان تأثير الحبل على رقبته رضي الله عنه ظاهرا، كما كان يلقيه على رمل مكة المحرق، ثم يضع حجرا ساخنا على صدره، كما كان يشد يديه ثم يضربه بعد ذلك بالعصي، وكثيرا ما أجلسه تحت أشعة الشمس المحرقة، أو تركه جائعاً بلا طعام، وكان بلال رضي الله عنه في كل هذه الأحوال لا ينطق إلا بعبارة أحد أحد وقد اشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأعتقه لله .

٢- أسلم عمار ووالده ياسر رضي الله عنه ووالدته سمية رضي الله عنها فأذاقهم أبو جهل صنوف العذاب، ورآهم النبي ﷺ وهم يعذبون ذات يوم فقال: " صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة "، وطعن أبو جهل التعس سمية رضي الله عنها في موضع العفة فيها بحربة فقتلها .

٣-أما أبو فكيهة واسمه أفلح فقد ربطت قدماه بالحبال وراحوا يجرونه على أرض صخرية.

٤-وخباب بن الأرت رضي الله عنه كان شعر رأسه ينتف وعنقه تلوى، وجسده يكوى بالجمرات الملتهبة.ولم يكن سلوك قريش هذا مع العبيد والضعفاء فقط، بل اتبعوا هذا السلوك الوحشي مع أبنائهم وأقاربهم المسلمين أيضا

٥- ولما بلغ خبر إسلام عثمان بن عفان رضي الله عنه عمه، كان هذا التعس يلف عثمان رضي الله عنه بقعف النخل ويحمى النار من تحته.

إساءة قريش للنبي ﷺ

وقد تحمل الرسول ﷺ الكثير من الأذى في سبيل تبليغ دعوته فقد تعرض للسخرية والتكذيب والإستهزاء والشتم واتهم بالجنون والسحر والكذب .

وكانوا يفرشون طريق النبي ﷺ بالشوك حتى تجرح قدميه في ظلمة الليل، كما كانت القاذورات ترمى على باب بيته حتى يتأذى ويضطرب خاطره، ولم يكن النبي ﷺ يزيد عن قوله يابني عبد مناف أي جوار هذا؟ .

ويروي ابن عمرو بن العاص ، وهو شاهد عيان، إن النبي ﷺ كان يصلي ذات يوم في حجر الكعبة ، فقدم عقبة بن معيط فلوى ثوبه وجعله كالحبل، وبينما النبي ﷺ يسجد وضعه حول عنقه وراح يشده فخنقه خنقاً شديداً والرسول ﷺ مستمر في سجوده بقلب مطمئن، حتى أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فدفع عقبة وأقامه ، وهو يسمعه الآية الكريمة: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾[9] .

وتعرض بعض الأشرار لأبي بكر وأوسعوه ضرباً وبينما كان النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة ذهبت قريش وجلست في صحن الكعبة، فقال أبو جهل: لقد ذبحت ناقة بناحية في مكة ولا يزال سقطها ملقى على الأرض فليذهب أحد وليأت به فيلقيه عليه (أي على النبي ﷺ)، وحين كان النبي ﷺ ساجداً وضعوه على ثوبه المبارك ، وكان النبي ﷺ مستغرقا في صلاته لله ، والكفار من حوله يضحكون ويتمايلون ويتساقط بعضهم على بعض .

وكان الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه موجودا، ولم يتمكن من التصرف بعد أن رأى حشد الكفار، فقدمت فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فألقت بالسقط الذي وضعه الكفار عن ظهر أبيها .

لجان الإيذاء – الهجرة للحبشة- خطبة جعفر

لجان الإيذاء

رأى كفار قريش أن ما كان يلاقيه النبي ﷺ والمسلمون من ظلم وأذى في مكة لا يكفي، ومن هنا لجأوا إلى تكوين لجان ثابتة كبديل عن المحاولات الفردية التي كانت تهدف إلى إيذاء النبي ﷺ وأصحابه.

9- سورة غافر : ٢٨

الهجرة إلى الحبشة

حين اشتد إيذاء الكفار للمسلمين وزاد عن حده، أذن النبي ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم بأن يهاجروا إلى الحبشة من يريد منهم أن ينجو بروحه وإيمانه. وبعد هذا الإذن خرجت في ظلمة الليل قافلة صغيرة تضم اثنا عشر رجلاً وأربع نساء. ركبوا السفينة من ميناء " شيبة " متجهين إلى الحبشة . كان أمير هذه القافلة الصغيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكانت معه السيدة رقية (بنت النبي ﷺ)، وقال النبي ﷺ هذا أول بيت هاجر في سبيل الله بعد لوط وإبراهيم عليهما السلام . وهاجر من بعدهم من المسلمين ثلاثة وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة وكان من بينهم ابن عم النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب ، وقد تبعتهم قريش حتى البحر إلا أنهم كانوا قد ركبوا السفينة ومضت بهم.

خطبة جعفر عن الإسلام

كان ملك الحبشة نصرانيا، ذهب إليه كفار مكة محملين بالهدايا وطلبوا منه أن يسلمهم " المسلمين " الذين فروا من ديارهم، فأحضر المسلمون إلى البلاط، وقام جعفر الطيار ابن عم النبي ﷺ فألقى خطبة في بلاط الملك قائلا:

«أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية: نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم،وقذف المحصنات،وأمرنا أن نعبد الله وحده،لا نشرك به شيئًا،وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فعدد عليه أمور الإسلام . فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.»

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأه علي، فقرأ عليه صدرًا من: ﴿كهيعص﴾ فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخْضَلُّوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم

قال لهم النجاشي:" إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، فلا والله لا أسلمهم ، ولا يكادون ."

تهديد أبوطالب – إسلام حمزة وعمر

قريش يهددون أبا طالب

وفي مكة جاءت سادات قريش إلى أبي طالب فقالوا له : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا . وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه ، ، وإنا والله لا نصبر على هذا ، من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين .

عظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد ، فبعث إلى رسول الله ﷺ وقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، فأبق علي وعلى نفسك ، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق ، فظن رسول الله ﷺ أن عمه خاذله ، وأنه ضعف عن نصرته ، فقال : يا عم ! والله لو وضعوا الشمس عن يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر – حتى يظهره الله أو أهلك فيه – ما تركته ، ثم استعبر وبكى ، وقام ، فلما ولى ناداه أبو طالب فلما أقبل قال له : أذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

إسلام حمزة

خلال هذا الجو المليد بسحائب الظلم والطغيان أضاء برق نوّر للمقهورين طريقهم ، ألا وهو إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، أسلم في آخر السنة السادسة من النبوة ، والأغلب أنه أسلم في شهر ذي الحجة .

وسبب إسلامه أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ يوماً عند الصفا ، فآذاه ونال منه ، ورسول الله ﷺ ساكت لا يكلمه ، ثم ضربه أبو جهل بحجر في رأسه فشجه ، حتى نزف منه الدم ، ثم انصرف عنه إلى نادي قريش عند الكعبة ، فجلس معهم ، وكانت مولاة لعبدالله بن جدعان في مسكن لها على الصفا ترى ذلك ، وأقبل حمزة من القنص متوشحاً قوسه ، فأخبرته المولاة بما رأت من أبي جهل ، فغضب حمزة – وكان أعز فتى في قريش وأشده شكيمة – فخرج يسعى ، لم يقف لأحد ، معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به ، فلما دخل المسجد قام على رأسه ، وقال له : تشتم ابن أخي وأنا على

دينه ؟ ثم ضربه بالقوس فشجّه شجّة منكرة ، فثار رجال من بني مخزوم – حي أبي جهل – وثار بنو هاشم – حي حمزة – فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فإني سببت ابن أخيه سباً قبيحاً .

وكان إسلام حمزة أول الأمر أنفة رجل أبى أن يهان مولاه . ثم شرح الله صدره ، فاستمسك بالعروة الوثقى ، واعتز به المسلمون أيما اعتزاز .

إسلام عمر الفاروق رضي الله عنه

كان من حدة طبعه وفرط عداوته لرسول الله ﷺ أنه خرج يوماً متوشحاً سيفه، يريد القضاء على النبي ﷺ، فلقيه رجلا فقال: أين تعمد يا عمر؟ قال. أريد أن أقتل محمداً .قال: كيف تأمن من بني هاشم ومن بني زهرة وقد قتلت محمداً؟ فقال له عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي كنت عليه، قال أفلا أدلك على العجب يا عمر! إن أختك وختنك قد صبوا، وتركا دينك الذي أنت عليه، فمشى عمر غاضباً حتى أتاهما، وعندها خباب بن الأرت ، معه صحيفة فيها (طه) يقرئهما إياها- وكان يختلف إليهما ويقرئهما القرآن- فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت، وسترت فاطمة- أخت عمر- الصحيفة، وكان قد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب إليهما، فلما دخل عليهما قال: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم ؟ فقالا: ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا. قال: فلعلكما قد صبوتما. فقال له ختنه: يا عمر أرأيت إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديداً. فجاءت أخته فرفعته عن زوجها فنفحها نفحة بيده، فدمى وجهها- وفي رواية أنه ضربها فشجها- فقالت- وهي غضبى-: يا عمر إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. فلما يئس عمر، ورأى ما بأخته من الدم ندم واستحى، وقال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرؤه، فقالت أخته: إنك رجس، ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل، فقام فاغتسل، ثم أخذ الكتاب، فقرأ: " بسم الله الرحمن الرحيم " فقال: أسماء طيبة طاهرة. ثم قرأ: (طه) حتى انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّنِيَ أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ﴾[10] فقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه؟ دلوني على محمد.

فأخذ عمر سيفه، فتوشحه ، ثم انطلق حتى أتى الدار فضرب الباب، فقام رجل ينظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف، فأخبر رسول الله !، واستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر، فقال: وعمر، افتحوا له الباب، فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه، ورسول الله ﷺ داخل يوحى إليه فخرج إلى عمر حتى لقيه في الحجرة، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، ثم جبذه جبذة شديدة فقال: أما أنت منتهياً يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما نزل

10- سورة طه : ١٤

بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب، فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. وأسلم فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد .

كان عمر رضي الله عنه ذا شكيمة لا يرام، وقد أثار إسلامه ضجة بين المشركين بالذلة، والهوان، وكسا المسلمين عزة وشرفاً وسروراً .

وبعد إسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أخذت السحائب تنقشع، وأفاق المشركون عن سكرهم في تنكيلهم بالمسلمين، وغيروا تفكيرهم في معاملتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، واختاروا أسلوب المساومات وتقديم الرغائب والمغريات، ولم يدر هؤلاء المساكين أن كل ما تطلع عليه الشمس لا يساوي جناح بعوضة أمام دين الله والدعوة إليه، فخابوا وفشلوا فيما أرادوا .

عن محمد بن كعب القرظي قال: أن عتبة بن ربيعة، وكان سيدًا، قال يومًا . وهو في نادي قريش، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثرون ويزيدون، فقالوا: بلى، يا أبا الوليد، قم إليه، فكلمه، فقام إليه عتبة،حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من المنزلة الرفيعة في العشيرة، والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال: فقال رسول صلى الله عليه وسلم: (قل يا أبا الوليد أسمع).

قال: يابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه . أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: (أقد فرغت يا أبا الوليد؟) قال: نعم، قال: (فاسمع مني)، قال:افعل، فقال: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ "فصلت:١: ٥". ثم مضى رسول الله فيها، يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال: (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك).

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم.

حصار الشعب – وفاة عمه وخديجة

حصار النبي مع عشيرته في شعب أبي طالب لثلاث سنوات

حين رأى الكفار أن النبي ﷺ ثابت على دعوته، وأن نشاطه مستمر بشجاعة لا نظير لها وعزيمة لا تلين ، اتفقوا في السنة السابعة من البعثة النبوية على أن يقاطعوا بني هاشم قبيلة النبي ﷺ رغم أنها لم تسلم، ولم تساند النبي ﷺ فاجتمعوا في خيف بني كنانة من وادي المحصَّب فتحالفوا على بني هاشم وبني المطلب ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يجالسوهم، ولا يخالطوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، ولا يكلموهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهود ومواثيق (ألا يقبلوا من بني هاشم صلحًا أبدًا، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل).

ثلاثة أعوام في شعب أبي طالب

واشتد الحصار ، وقطعت عنهم الميرة والمادة ، فلم يترك المشركين طعاماً يدخل مكة ولا بيعاً إلا بادروه فاشتروه ، حتى بلغهم الجهد والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود ، وحتى كان يسمع من وراء الشعب أصوات نسائهم وصبيانهم يتضاغون من الجوع وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً – وكانوا – لا يخرجون من الشعب لشراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم ، وكانوا يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها ، ولكن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم في السلعة قيمتها حتى لا يستطيعوا الشراء .

وكان حكيم بن حزام ربما يحمل قمحاً إلى عمته خديجة رضي الله عنها وقد تعرض له مرة أبو جهل فتعلق به ليمنعه ، فتدخل بينهما أبو البختري ، ومكنه من حمل القمح إلى عمته .

مر عامان أو ثلاثة أعوام والأمر على ذلك، وفي المحرم سنة عشر من النبوة نقضت الصحيفة وفك الحصار؛ وذلك أن قريشًا كانوا بين راض بهذا الميثاق وكاره له، فسعى في نقض الصحيفة من كان كارهًا لها.

وكان القائم بذلك هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي . وكان يصل بني هاشم في الشعب مستخفيًا بالليل بالطعام . فإنه ذهب إلى زهير بن أبي أمية المخزومي . وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب . وقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وأخوالك بحيث تعلم؟ فقال: ويحك، فما أصنع وأنا رجل واحد؟ أما والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها، قال: قد وجدت رجلاً. قال: فمن هو؟ قال: أنا. قال له زهير: إبغنا رجلاً ثالثًا.

فذهب إلى المطعم بن عدى، فذكره أرحام بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف، ولامه على موافقته لقريش على هذا الظلم، فقال المطعم: ويحك، ماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، قال: قد وجدت ثانيًا، قال: من هو؟ قال: أنا. قال: إبغنا ثالثًا. قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية، قال:إبغنا رابعًا.

فذهب إلى أبي البختري بن هشام، فقال له نحوًا مما قال للمطعم، فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدى، وأنا معك، قال:إبغنا خامسًا.

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم، فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم، ثم سمى له القوم، فاجتمعوا عند الحَجُون، وتعاقدوا على القيام بنقض الصحيفة، وقال زهير: أنا أبدأكم فأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير عليه حلة، فطاف بالبيت سبعًا، ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يباع ولا يبتاع منهم؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

قال أبو جهل . وكان في ناحية المسجد: كذبت، والله لا تشق.

فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب، مارضينا كتابتها حيث كتبت.

قال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كتب فيها، ولا نقر به.

قال المطعم بن عدى: صدقتما، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها.

وقال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، وتُشُوور فيه بغير هذا المكان.

وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، إنما جاءهم لأن الله كان قد أطلع رسوله صلى الله عليه وسلم على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة، فأكلت جميع ما فيها من جور

وقطيعة وظلم إلا ذكر الله عز وجل، فأخبر بذلك عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن ابن أخيه قد قال كذا وكذا، فإن كان كاذبًا خلينا بينكم وبينه، وإن كان صادقًا رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت.

وبعد أن دار الكلام بين القوم وبين أبي جهل، قام المطعم إلى الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلا (باسمك اللهم)، وما كان فيها من اسم الله فإنها لم تأكله.

ثم نقض الصحيفة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الشعب، وقد رأي المشركون آية عظيمة من آيات نبوته، ولكنهم . كما أخبر الله عنهم ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ "القمر:٢" . أعرضوا عن هذه الآية وازدادوا كفرًا إلى كفرهم .

وفاة أبي طالب و خديجة

في السنة العاشرة من البعثة النبوية، توفى أبو طالب عم النبي ﷺ . وكان أبو طالب هو الذي ربى النبي ﷺ منذ صباه، وحماه وأيده حين بدأ الدعوة إلى عبادة الله وحده، ولهذا حزن النبي ﷺ لوفاته حزناً شديداً. وبعد مدة قصيرة من الزمن توفيت زوجته خديجة رضي الله عنها، وكانت قد وهبت نفسها لمؤازرة النبي ﷺ . كما ضحت بمالها ومتاعها في سبيل الله، وكانت أول من أسلم، وقد بلغها جبريل السلام من الله ، ولهذا كانت وفاتها صدمة شديدة ومؤثرة على النبي ﷺ.

وهنا بدأت قريش تزيد من إيذائها للنبي ﷺ.

الرسول صلى الله عليه وسلم في الطائف

في شوال سنة عشر من النبوة "في أواخر مايو أو أوائل يونيو سنة ٦١٩ م" خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلًا، سارها ماشيًا على قدميه جيئة وذهابًا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تجب إليه واحدة منها.

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا. وأغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له سِمَاطَيْن ﷺأي صفينﷺ وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقيبه، حتى اختضب نعلاه بالدماء. وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شِجَاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة

ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُبْلَة من عنب فجلس تحت ظلها إلى جدار . فلما جلس إليه واطمأن، دعا بالدعاء المشهور الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزنًا مما لقي من الشدة، وأسفًا على أنه لم يؤمن به أحد، قال:

(اللهم إليك أشكو ضَعْف قُوَّتِي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تَكِلُني؟ إلى بعيد يَتَجَهَّمُنِي؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سَخَطُك، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك).

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا يقال له: عَدَّاس، وقالا له:خذ قطفًا من هذا العنب، واذهب به إلى هذا الرجل. فلما وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مد يده إليه قائلًا: (باسم الله) ثم أكل.

فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني من أهل نِينَوَى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى). قال له: وما يدريك ما يونس ابن متى؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي)، فأكب عداس على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويديه ورجليه يقبلها.

فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك. فلما جاء عداس قالا له: ويحك ما هذا؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عداس ، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيبًا محزونًا كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال، يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة.

وقد روى البخاري عن عروة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد؟ قال: (لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليلَ بن عبد كُلَال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت . وأنا مهموم . على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقَرْن الثعالب . وهو المسمى بقَرْنِ المنازل . فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم عليّ ثم قال: يا محمد، ذلك، فما شئت، إن شئت أن أطبق

عليهم الأخشبين . أي لفعلت، والأخشبان: هما جبلا مكة: أبو قُبَيْس والذي يقابله، وهو قُعَيْقِعَان . قال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل وحده لا يشرك به شيئا).

وفي هذا الجواب الذي أدلى به الرسول صلى الله عليه وسلم تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي لا يدرك غوره.

وأفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم واطمأن قلبه لأجل هذا النصر الغيبي الذي أمده الله عليه من فوق سبع سموات، ثم تقدم في طريق مكة حتى بلغ وادي نخلة، وأقام فيه أيامًا، وفي وادي نخلة موضعان يصلحان للإقامة . السَّيْل الكبير والرَّيْمَة . لما بهما من الماء والخصب،

وخلال إقامته صلى الله عليه وسلم هناك بعث الله إليه نفرًا من الجن ذكرهم الله في موضعين من القرآن: في سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ "الأحقاف:٢٩ : ٣١".

وفي سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ إلى تمام الآية الخامسة عشر "الجن: ١ : ١٥".

ومن سياق هذه الآيات . وكذا من سياق الروايات التي وردت في تفسير هذا الحادث . يتبين أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلم حضور ذلك النفر من الجن حين حضروا وسمعوا، وإنما علم بعد ذلك حين أطلعه الله عليه بهذه الآيات، وأن حضورهم هذا كان لأول مرة، ويقتضي سياق الروايات أنهم وفدوا بعد ذلك مرارًا .

وحقًا كان هذا الحادث نصرًا آخر أمده الله من كنوز غيبه المكنون بجنوده التي لا يعلمها إلا هو، ثم إن الآيات التي نزلت بصدد هذا الحادث كانت في طيها بشارات بنجاح دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن أي قوة من قوات الكون لا تستطيع أن تحول بينها وبين نجاحها: ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَولِيَاء أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ "الأحقاف:٣٢"، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ "الجن:١٢".

أمام هذه النصرة، وأمام هذه البشارات، أقشعت سحابة الكآبة والحزن واليأس التي كانت مطبقة عليه منذ أن خرج من الطائف مطرودًا مدحورًا، حتى صمم على العود إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة بنشاط جديد وبجد وحماس.

خروج النبي ﷺ للدعوة- الإسراء والمعراج

خروج النبي ﷺ للدعوة في مناطق مختلفة

بعد رجوعه من الطائف بدأ النبي ﷺ يذهب إلى مساكن مختلف القبائل، أو يذهب خارج مكة.. ويلتقي بالمسافرين هنا وهناك يدعوهم إلى الإيمان وعبادة الله وحده، وقد أتى أيضا قبيلة بني عبد الله، فقال لهم إن أباكم كان عبد الله، فكونوا اسما على مسمى ، وذهب إلى منازل قبيلة بني حنيفة، فلم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه منهم وأتى الى بني عامر بن صعصعة .

ثم بدأ الرسول ﷺ يعرض الإسلام على القبائل والوفود من غير أهل مكة فآمن به عدة رجال منهم طفيل بن عمرو الدوسي وتتجلى قصة إسلامه في أنه كان رجلا شريفًا، شاعرًا لبيبًا، رئيس قبيلة دوس، وكانت لقبيلته إمارة أو شبه إمارة في بعض نواحي اليمن، قدم مكة في عام ١١ من النبوة، فاستقبله أهلها قبل وصوله إليها، وبذلوا له أجل تحية وأكرم تقدير، وقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه ، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئًا .

يقول طفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئًا، ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفًا؛ فرقًا من أن يبلغني شيء من قوله، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا هو قائم يصلى عند الكعبة، فقمت قريبًا منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني رجل لبيب شاعر؛ ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، فمكثت حتى انصرف إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فعرضت عليه قصة مقدمي، وتخويف الناس إياي، وسد الأذن بالكرسف، ثم سماع بعض كلامه، وقلت له: اعرض عليّ أمرك، فعرض عليّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن. فوالله ما سمعت قولًا قط أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت له: إني مطاع في قومي، وراجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية، فدعا .

وكانت آيته أنه لما دنا من قومه جعل الله نورًا في وجهه مثل المصباح، فقال: اللهم في غير وجهي. أخشى أن يقولوا: هذه مثلة، فتحول النور إلى سوطه، فدعا أباه وزوجته إلى الإسلام فأسلما، وأبطأ عليه قومه في الإسلام، لكن لم يزل بهم حتى هاجر بعد الخندق، ومعه سبعون أو ثمانون بيتًا من قومه، وقد أبلى في الإسلام بلاء حسنًا، وقتل شهيدًا يوم اليمامة.

وفي موسم الحج من سنة ١١ من النبوة . يوليو سنة ٦٢٠م . وجدت الدعوة الإسلامية بذورًا صالحة، سرعان ما تحولت إلى شجرات باسقات، اتقى المسلمون في ظلالها الوارفة لفحات الظلم والعدوان حتى تغير مجرى الأحداث وتحول خط التاريخ.

وكان من حكمته صلى الله عليه وسلم إزاء ما كان يلقى من أهل مكة من التكذيب والصد عن سبيل الله أنه كان يخرج إلى القبائل في ظلام الليل، حتى لا يحول بينه وبينهم أحد من أهل مكة المشركين.

ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعقبة منى، فسمع أصوات رجال يتكلمون فعمدهم حتى لحقهم، وكانوا ستة نفر من شباب يثرب كلهم من الخزرج، وهم:

١ . أسعد بن زُرَارة "من بني النجار".
٢ . عون بن الحارث بن رفاعة ابن عَفْراء "من بني النجار".
٣ . رافع بن مالك بن العَجْلان "من بني زُرَيْق".
٤ . قُطْبَة بن عامر بن حديدة "من بني سلمة".
٥ . عُقْبَة بن عامر بن نابي "من بني حَرَام بن كعب".
٦ . جابر بن عبد الله بن رِئاب "من بني عبيد بن غَنْم".

وكان من سعادة أهل يثرب أنهم كانوا يسمعون من حلفائهم من يهود المدينة، إذا كان بينهم شيء، أن نبيًا من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج، فنتبعه، ونقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فلما لحقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم: (من أنتم؟) قالوا: نفر من الخزرج، قال: (من موالى اليهود؟) أي حلفائهم، قالوا: نعم. قال: (أفلا تجلسون أكلمكم؟) قالوا: بلى، فجلسوا معه، فشرح لهم حقيقة الإسلام ودعوته، ودعاهم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن. فقال بعضهم لبعض: تعلمون والله يا قوم، إنه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنّكم إليه، فأسرعوا إلى إجابة دعوته، وأسلموا.

وكانوا من عقلاء يثرب، أنهكتهم الحرب الأهلية التي مضت قريبًا، والتي لا يزال لهيبها مستعرًا، فأملوا أن تكون دعوته سببًا لوضع الحرب، فقالوا: إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك.

ولما رجع هؤلاء إلى المدينة حملوا إليها رسالة الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الإسراء والمعراج

ثم أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس راكباً على البراق بصحبة جبريل عليه السلام . فنزل هناك . وصلى بالأنبياء إماماً ، وربط البراق بحلقة المسجد . ثم عرج به إلى السماء الدنيا . فرأى فيها آدم ورأى أرواح السعداء عن يمينه ، والأشقياء عن

شماله . ثم إلى الثانية فرأى فيها عيسى ويحيى . ثم إلى الثالثة ، فرأى فيها يوسف . ثم الرابعة فرأى فيها إدريس ، ثم إلى الخامسة فرأى هارون . ثم السادسة فرأى موسى فلما جاوزه بكى ، فقيل ما يبكيك ؟ قال :أبكي أن غلام بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم عرج به إلى السماء السابعة ، فلقي فيها إبراهيم . ثم إلى سدرة المنتهى . ثم رفع إلى البيت المعمور . فرأى هناك جبريل في صورته ، له ستمائة جناح وهو قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ × عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾[11] .

وكلمه ربه وأعطاه ما أعطاه . وأعطاه الصلاة فكانت قرة عين رسول الله ﷺ .

فلما أصبح رسول الله ﷺ في قومه وأخبرهم : أشتد تكذيبهم له ، وسألوه أن يصف لهم بيت المقدس ، فجلاه الله له حتى عاينه وجعل يخبرهم به . ولا يستطيعون أن يردوا عليه شيئاً . وأخبرهم عن عيرهم التي رآها في مسراه ومرجعه ، وعن وقت قدومها ، وعن البعير الذي يقدمها . فكان كما قال . فلم يزدهم ذلك إلا ثبوراً . وأبى الظالمون إلا كفوراً .

بيعة العقبة الأولى

بيعة العقبة الأولى

قد ذكرنا أن ستة نفر من أهل يثرب أسلموا في موسم الحج سنة ١١ من النبوة، ووعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبلاغ رسالته في قومهم.

وكان من جراء ذلك أن جاء في الموسم التالي . موسم الحج سنة ١٢ من النبوة، يوليو سنة ٦٢١م . اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد التقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في العام السابق . والسادس الذي لم يحضر هو جابر بن عبد الله بن رِئاب . وسبعة سواهم، وهم:

١ . معاذ بن الحارث، ابن عفراء من بني النجار "من الخزرج"
٢ . ذَكْوَان بن عبد القيس من بني زُرَيْق. "من الخزرج"
٣ . عبادة بن الصامت من بني غَنْم "من الخزرج"
٤ . يزيد بن ثعلبة من حلفاء بني غنم "من الخزرج"
٥ . العباس بن عُبَادة بن نَضْلَة من بني سالم "من الخزرج"
٦ . أبو الهَيْثَم بن التَّيِّهَان من بني عبد الأشهل "من الأوس".
٧ . عُوَيْم بن ساعدة من بني عمرو بن عَوْف "من الأوس".

الأخيران من الأوس، والبقية كلهم من الخزرج. التقى هؤلاء برسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة بمنى فبايعوه .

روى البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تعالوا

11- سورة النجم :١٣-١٤

بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا، فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله، فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه). قال: فبايعته . وفي نسخة: فبايعناه . على ذلك.

مصعب بن عمير

وحين انصرف القوم عائدين بعث معهم النبي ﷺ مصعب بن عمير، وكان قد تربى في بيت غني، وكان حيثما يركب الفرس يتبعه غلامه، ولم يكن يخرج إلا وعليه الملابس الفخمة الغالية، ولكنه حين عاش في جو الإيمان الرائع تخلى فوراً عن حياة الراحة والدعة، فحينما راح يدعو في المدينة إلى دين الحق يبلغ الإسلام كان يضع على كتفه قطعة من القماش يمسكها بالشوك.

نزل مصعب بن عمير على أسعد بن زُرَارة، وأخذا يبثان الإسلام في أهل يثرب بجد وحماس، وكان مصعب يُعْرَف بالمقرئ.

ومن أروع ما يروى من نجاحه في الدعوة أن أسعد بن زرارة خرج به يومًا يريد دار بني عبد الأشهل ودار بني ظَفَر، فدخلا في حائط من حوائط بني ظفر، وجلسا على بئر يقال لها: بئر مَرَق، واجتمع إليهما رجال من المسلمين. وسعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر سيدا قومهما من بني عبد الأشهل يومئذ على الشرك . فلما سمعا بذلك قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإن أسعد بن زرارة ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا .

فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه. وجاء أسيد فوقف عليهما متشتمًا، وقال: ما جاء بكما إلينا؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس، فكلمه مصعب بالإسلام، وتلا عليه القرآن. قال: فو الله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قالا له: تغتسل، وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين. فقام واغتسل، وطهر ثوبه وتشهد وصلى ركعتين، ثم قال: إن ورائي رجلًا إن تبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرشده إليكما الآن . سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد في قومه، وهم جلوس في ناديهم. فقال سعد: أحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم.

فلما وقف أسيد على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ فقال: كلمت الرجلين، فوالله ما

رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت.

وقد حدثت أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه . وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك . لِيُخْفِرُوك. فقام سعد مغضبًا للذي ذكر له، فأخذ حربته، وخرج إليهما، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة: والله يا أبا أمامة، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا منى، تغشانا في دارنا بما نكره؟

وكان أسعد قد قال لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد، فقال مصعب لسعد بن معاذ: أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: قد أنصفت، ثم ركز حربته فجلس. فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلّله، ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم؟ قالا: تغتسل، وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلى ركعتين. ففعل ذلك.

ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادي قومه، فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا وقد أسلموا.

وأقام مصعب في بيت أسعد بن زرارة يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخَطْمَة ووائل. كان فيهم قيس بن الأسلت الشاعر . وكانوا يطيعونه . فوقف بهم عن الإسلام حتى كان عام الخندق سنة خمس من الهجرة.

بيعة العقبة الثانية

بيعة العقبة الثانية

في موسم الحج في السنة الثالثة عشر من النبوة حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفساً من المسلمين من أهل يثرب، جاؤوا ضمن حجاج قومهم من المشركين .

فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية، أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يجتمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب الذي عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يتم هذا الإجتماع في سرية تامة في ظلام الليل.

يقول كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه:

-" خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق، وكانت

الليلة التي واعدنا رسول ﷺ لها، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام، سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا- فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا، وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً".

- قال كعب: " فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ، نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائنا ، نسيبة بنت كعب- أم عمارة- من بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو- أم منيع- من بني سلمة. فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا، ومعه (عمه) العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، وتوثق له، وكان أول متكلم.

بداية المحادثة وتشريح العباس لخطورة المسؤولية:

وبعد أن تكامل المجلس بدأت المحادثات لإبرام التحالف الديني والعسكري، وكان أول المتكلمين هو العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ. تكلم ليشرح لهم- بكل صراحة- خطورة المسؤولية التي ستلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف. قال: يا معشر الخزرج- وكان العرب يسمون الأنصار خزرجاً ، خزرجها وأوسها كليهما- إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده ".

قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

وألقى رسول الله ﷺ بعد ذلك بيانه، ثم تمت البيعة.

بنود البيعة

وقد روى ذلك الإمام أحمد عن جابر مفصلاً. قال جابر: قلنا: يا رسول الله على ما نبايعك؟ قال:

١- على السمع والطاعة في النشاط والكسل.

٢- وعلى النفقة في العسر واليسر.

٣- وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤- وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم.

٥ – وعلى أن تنصروني إذا قدمت إليكم ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة .

وبذلك تمت البيعة وطلب الرسول ﷺ منهم انتخاب اثني عشر زعيما يكونون نقباء على قومهم ومسؤولين في تنفيذ بنود البيعة.

الإذن للمسلمين بالهجرة:

بعد بيعة العقبة الثانية أذن النبي ﷺ للمسلمين، الذين لم يغادروا مكة، والذين واجهوا صنوف الأذى والعذاب حتى أصبح وطنهم بالنسبة لهم جحيماً، في الهجرة إلى يثرب، ولم يحزن هؤلاء المؤمنون على الإطلاق لفراقهم الوطن والأقارب، والأب والأخ والزوجة والابن، بل فرحوا لأنهم سيتمكنون من عبادة الله وحده لا شريك له بحرية كاملة.

الهجرة (١)

مصاعب الهجرة

وكان المهاجرون الذين تركوا ديارهم يواجهون مقاومة شديدة من قريش بمكة:

١- حين أراد صهيب الرومي رضي الله عنه الهجرة، جاءه كفار قريش وقالوا له: أتيتنا مفلسا حقيرا، فكثر مالك عندنا، ثم تريد أن تخرج من هنا وتريد أن تأخذ معك كل هذا المال، لا يكون هذا أبداً.فقال لهم صهيب، أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتتركوني أمضي.

قالت قريش نعم.فأعطاهم جميع ماله، وهاجر إلى يثرب، وسمع النبي ﷺ بالقصة فقال: ربح صهيب، ربح صهيب.

٢- تقول أم سلمة رضي الله عنها، أراد زوجي أبو سلمة الهجرة، فحملني إلى بعيره، وفي حضني طفلي سلمة، وحين بدأنا السير قدم إليه رجال بني المغيرة وقالوا له: يمكنك أن تذهب، ولكنك لا يمكن أن تأخذ ابنتنا، وقدم بنو عبد الأسد أيضاً وقالوا لأبي سلمة، يمكنك أن تذهب ولكن الطفل طفل القبيلة لا يمكن أن تأخذوه فنزعوا خطام البعير من أبي سلمة وأناخوها ، وسلب بنو عبد الأسد الطفل من حضن أمه، وأخذ بنو مغيرة أم سلمة، أما أبو سلمة الذي يعتبر الهجرة في سبيل الدين فرض، فقد انطلق إلى يثرب دونما زوجه وطفله.

وكانت أم سلمة رضي الله عنها تخرج مساء كل يوم في المكان الذي انفصلت فيه عن زوجها وطفلها، فلا تزال تبكي لساعات ثم تعود، وظلت على هذا الحال سنة، حتى

مر بها رجل من بني عمها فرق لحالها، فتحدث مع القبيلتين حتى سمح لها باللحاق بزوجها، وأعيد لها طفلها أيضا، فارتحلت أم سلمة على بعير متجهة إلى المدينة وحيدة مع طفلها ، وأصاب مثل ذلك تقريباً كل صحابي.

ولما رأى المشركون أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تجهزوا وخرجوا، وحملوا وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج أصابتهم الكآبة والحزن، وساورهم القلق والهم بشكل لم يسبق له مثيل، فقد تجسد أمامهم خطر حقيقي عظيم، أخذ يهدد كيانهم الوثني والاقتصادي.

فقد كانوا يعلمون ما في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم من غاية قوة التأثير مع كمال القيادة والإرشاد، وما في أصحابه من العزيمة والاستقامة والفداء في سبيله، ثم ما في قبائل الأوس والخزرج من القوة والمنعة، وما في عقلاء هاتين القبيلتين من عواطف السلم والصلاح، والتداعي إلى نبذ الأحقاد، ولاسيما بعد أن ذاقوا مرارة الحروب الأهلية طيلة أعوام من الدهر.

كما كانوا يعرفون ما للمدينة من الموقع الاستراتيجي بالنسبة إلى المحجة التجارية التي تمر بساحل البحر الأحمر من اليمن إلى الشام. وقد كان أهل مكة يتاجرون إلى الشام بقدر ربع مليون دينار ذهب سنويًا، سوى ما كان لأهل الطائف وغيرها. ومعلوم أن مدار هذه التجارة كان على استقرار الأمن في تلك الطريق.

فلا يخفى ما كان لقريش من الخطر البالغ في تمركز الدعوة الإسلامية في يثرب، ومجابهة أهلها ضدهم.

برلمان مكة والإجماع على قرار غاشم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم

النقاش البرلماني والإجماع على قرار غاشم بقتل النبيَ

شعر المشركون بتفاقم الخطر الذي كان يهدد كيانهم، فصاروا يبحثون عن أنجع الوسائل لدفع هذا الخطر الذي مبعثه الوحيد هو حامل لواء دعوة الإسلام محمدصلى الله عليه وسلم.

وفي يوم الخميس ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة، الموافق ١٢ من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢م . أي بعد شهرين ونصف تقريبًا من بيعة العقبة الكبرى . عقد برلمان مكة "دار الندوة" في أوائل النهار أخطر اجتماع له في تاريخه، وتوافد إلى هذا الاجتماع جميع نواب القبائل القرشية؛ ليتدارسوا خطة حاسمة تكفل القضاء سريعًا على حامل لواء الدعوة الإسلامية؛ وتقطع تيار نورها عن الوجود نهائيًا.

ولما جاءوا إلى دار الندوة حسب الميعاد، اعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل، عليه بَتٌّ له، ووقف على الباب، فقالوا: من الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى ألا يعدمكم منه رأيًا ونصحًا. قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم.

وبعد أن تكامل الاجتماع بدأ عرض الاقتراحات والحلول، ودار النقاش طويلًا. قال أبو الأسود: نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا، ولا نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، فقد أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب، ثم يسير بهم إليكم . بعد أن يتابعوه . حتى يطأكم بهم في بلادكم، ثم يفعل بكم ما أراد، دبروا فيه رأيًا غير هذا .

قال أبو البختري: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابًا، ثم تربصوا به ما أصاب أمثاله من الشعراء الذين كانوا قبله . زهيرًا والنابغة . ومن مضى منهم، من هذا الموت، حتى يصيبه ما أصابهم.

قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه . كما تقولون . ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي، فانظروا في غيره.

وبعد أن رفض البرلمان هذين الاقتراحين، قدم إليه اقتراح آثم وافق عليه جميع أعضائه، تقدم به كبير مجرمي مكة أبو جهل بن هشام. قال أبو جهل: والله إن لي فيه رأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جليدًا نَسِيبا وَسِيطًا فينا، ثم نعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه بها ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فتستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، فرضوا منا بالعَقْل، فعقلناه لهم.

قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره.

ووافق برلمان مكة على هذا الاقتراح الآثم بالإجماع، ورجع النواب إلى بيوتهم وقد صمموا على تنفيذ هذا القرار فورًا.

الهجرة (٢)

التدبير الإلهي في مواجهة التدبير الإنساني

وهنا يأتي دور التدبير الإلهي والحماية الربانية في مواجهة التدبير الإنساني، فحين أحاط أولئك الناس ليلاً ببيت النبي ﷺ، في ذلك الوقت طلب نبي الله من إبن عمه علي رضي الله عنه أن ينام في فراشه وأن يتسج ببردته، وألا يقلق أبداً، فلن يخلص إليه شيء يكرهه من هؤلاء، فنام علي رضي الله عنه نوما هادئا تحت ظلال السيوف وخرج رسول الله في حفظ الله، ونثر التراب على رؤوس هؤلاء الناس الذين عمت قلوبهم، وهو يتلو سورة يس ، وخرج سالما فلم يره أحد وهو يمضي حيث أراد وكانت هذه الواقعة يوم الخميس السابع والعشرين من صفر عام ١٣ من البعثة .

أتى نبي الله ﷺ بيت صديقه ورفيقه أبي بكر، فأعد متاع السفر اللازم على عجل، وحلت أسماء بنت أبي بكر نطاقها فجعلته عصاماً للسفرة، وفي ظلمة تلك الليلة انطلقا حتى وصلا غار ثور على بعد حوالي أربعة أميال من مكة، فدخل أبو بكر أولا فنظفه وسد جحوره بمخاريق من ثوب جسده وبعدها طلب من النبي ﷺ أن يدخل.

وطلع الصبح واستيقظ علي رضي الله عنه كعادته كل يوم وجاءته قريش وسألته عن محمد فأجاب علي وما أدراني أكنت عليه رقيبا، أمرتموه بالخروج فخرج ، فانتهروا عليا وعنفوه من غضبهم وضربوه وأخذوه إلى الجعبة وحبسوه لفترة ثم تركوه .

وقدم هؤلاء إلى بيت أبي بكر، فدقوا بابه ، فخرجت أسماء بنت أبي بكر إليهم، فسألها أبو جهل: أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ فقالت والله لا أعلم. فرفع أبو جهل- وكان فاحشاً خبيثاً - يده ولطم خدها لطمة طرحت منها قرطها .

وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام، وكان عبد الله بن أبي بكر يخبرهما بما يقوله أهل مكة ، أما عامر بن فهيرة وهو مولى عبد الله أخي عائشة رضي الله عنها والمسئول عن قطيع أبي بكر كان يرعى الغنم ، ويحمل إلى رسول الله ﷺ ما يحتاج إليه من حليب ، ويعفر آثار القادمين بقطيع الغنم .

وقد أثاب الله أبا بكر على صدقه وإخلاصه أن قال تعالى: (إن الله معنا) فكان مع النبي ﷺ في معية الله.

الخروج من الغار

وفي الليلة الرابعة خرج من بيت أبي بكر رضي الله عنه بعيران أعدا إعداداً جيدا لهذا السفر، فركب النبي ﷺ ومعه أبو بكر على أحدهما، بينما ركب على الآخر عامر بن فهيرة وعبد الله بن الأريقط (الذي استؤجر ليكون دليل السفر) ، واتجه الركب إلى المدينة في غرة ربيع الأول، يوم الاثنين ، وترك الدليل الطريق الوسط واتخذ المضي

بمحاذاة ساحل البحر .

وبعد الخروج من الغار مر هذا الركب المبارك في أول يوم بخيمة أم معبد وهى امرأة من خزاعة، اشتهرت بكرمها وحفاوتها بالمسافرين تطعمهم وتسقيهم، وكان المسافرون يستريحون عندها.

وصل الركب عندها فسألها النبي ﷺ هل عندك شيء من طعام، فقالت، لا، ولو كان عندي شيء لأحضرته لكم.

استراحة النبي ﷺ في خيمة أم معبد

رأى النبي ﷺ في ركن الخيمة شاة، فسألها، ما هذه الشاة؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال النبي ﷺ أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت أم معبد" إن رأيت بها حليبا فاحلبها".

فمسح النبي ﷺ بيده على ضرعها وسمى الله ودعا ودعا بإناء فحلب فيه حتى علته الرغوة وسقط على الأرض، فشرب الرسول وأصحابه، ثم حلب الشاة فامتلأ الإناء فشرب أصحابه، وحلبها للمرة الثالثة وترك الإناء لأم معبد وارتحلوا.

وحضر زوج أم معبد بعد قليل، فلما رأى اللبن عجب وقال: من أين لك هذا؟ فقالت أم معبد، مر بنا رجل مبارك وكان هذا اللبن من بركة قدومه علينا، فقال: إنه لصاحب قريش الذي تطلبه. ، صفيه لي يا أم معبد، فوصفته بصفاته الكريمة وصفًا بديعًا كأن السامع ينظر إليه وهو أمامه فقال أبو معبد: والله هذا صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا، لقد هممت أن أصحبه، ولأفعلنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلا. وأصبح صوت بمكة عاليًا يسمعونه ولا يرون القائل:

جزى الله رب العرش خير جزائه ×× رفيقين حَلاَّ خيمتي أم مَعْبدِ
هما نزلا بالبرِّ وارتحلا به ×× وأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقُصَيّ مَا زَوَى الله عنكم ×× به من فعال لا يُحَاذى وسُؤْدُد
ليَهْنِ بني كعب مكان فَتاتهم ×× ومقعدُهـا للمؤمنين بمَرْصَد
سَلُوا أختكم عن شاتها وإنائها ×× فإنكم إن تسألوا الشاة تَشْهَد

وصول النبي ﷺ إلى قباء

وصل النبي ﷺ إلى قباء يوم الاثنين الثامن من ربيع الأول عام ١٣من البعثة وكان أهل يثرب حين سمعوا أن النبي ﷺ خرج من مكة راحوا منذ الصباح الباكر يتوقعون قدومه المبارك ، وظلوا جلوسا إلى ما قبل الظهر ، ولم يكد هؤلاء يعودون إلى بيوتهم حتى وصل النبي ﷺ ، واجتمع الناس على صياح رجل ، كما سمعت الأناشيد ترحب بمقدم النبي ﷺ ، ولم تكن عيون معظم المسلمين قد اكتحلت برؤية صاحب الرسالة، وما

كانوا يعرفونه من أبي بكر الصديق حتى قام أبو بكر فأظل النبي بردائه فعرفوه .

وبقى رسول الله ﷺ في تلك البقعة إلى يوم الخميس وكان أول عمل أنجزه أثناء إقامته في هذه الأيام الثلاثة هو بناء مسجد لعبادة الله وحده لا شريك له. وفي يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول السنة الأولى للهجرة ركب النبي ﷺ من قباء و دخل النبي ﷺ يثرب من ناحيتها الجنوبية، ومنذ ذلك اليوم صار اسمها " مدينة النبي ويطلق عليها اختصاراً " المدينة ".

وكان أبناء الأنصار ينشدون بصوت عذب هذه الأشعار .

طلع ا البـــدر علينا — من ثنيات الـــوداع
وجب الشكر علينا — ما دعـــــا لله داع
أيها المبعـــوث فينا — جئت بالأمر المطـاع
جئت شرفت المدينة — مرحـبا يا خير داع

وكان الأنصار يرغبون في استضافة المهاجرين حتى أنهم كانوا يقترعون على ذلك، فمن وقعت عليه القرعة كان المهاجر من حظه فيأخذه إلى بيته ويتقاسم معه كل ما يملك في نفس اليوم.فأسس النبي ﷺ مدينة الإيمان والتوحيد والعدل والإحسان.

الفهـــرس

تسلسل	الموضـــوع	الصفحة
١	المقدمة	٣
٢	النسب النبوي – حلف الفضول	٤
٣	حياة الكدح – زواجه بخديجة – بناء الكعبة	٥
٤	الصادق الأمين – قرب زمن البعثة	٦
٥	بداية الدعوة – من أهداف النبوة	٧
٦	الدعوة في عشيرته – موعظة جبل الصفا	٨
٧	ظلم قريش للمسلمين – إساءة قريش للنبي ﷺ	٩
٨	لجان الإيذاء – الهجرة للحبشة	١١
٩	تهديد أبوطالب – إسلام حمزة وعمر	١٢
١٠	حصار الشعب – وفاة عمه وخديجة	١٥
١١	الرسول ﷺ في الطائف	١٧
١٢	خروج النبي ﷺ للدعوة – الإسراء والمعراج	١٩
١٣	بيعة العقبة الأولى	٢١
١٤	بيعة العقبة الثانية	٢٣
١٥	الهجرة (١)	٢٥
١٦	برلمان مكة والإجماع على قتل النبي ﷺ	٢٦
١٧	الهجرة (٢)	٢٧
١٨	الفهرس	٢٩

من إصداراتنا
More Others

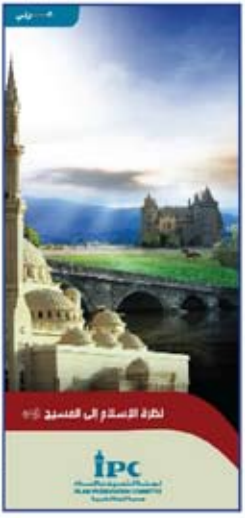

تصميم مركز زخرف 512 ت: 247 44 00

للمساهمة معنا في مشروع طباعة الكتب

www.ipc-kw.com 22444117 - 22427383 داخلي: 301

Fahad Salem St. Al-Mulla Saleh Mosque P.O.Box:1613 Safat 13017
Tel.: 22444117 Ext.:333 Fax:22400057 e-mail:ipb@ipc-kw.com